Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ - ملامح أسلوبية فى شعرية الحداثة

١ - ١ تعد الدراسة الأسلوبية من أقرب المنافذ لطبيعة المكونات التاريخية الخاصة باللغة العربية ، لأن هذه اللغة قد اعتمدت إبان صياغتها وخلال مراحل تقعيدها الأولى على ثروة وفيرة من التجربة الشعرية ، مثلت الأساس الفعلى للمادة التى قيس عليها الإطار النحوى العام ، ولست أشير بذلك إلى المنظومات الأجرومية المتأخرة ، مثل ألفية ابن مالك التى أصبحت دستور اللغة ، وإنما يرتفع الأمر إلى فجر الفكر اللغوى العربى الذى أطل على مساحات واسعة من شعرية القصيد والقرآن ، استقى منهما العلماء الهياكل الرئيسية لنظام اللغة والتصورات الهامة فى أساليبها . ولم يخطر لهؤلاء النحاة واللغويين أن يميزوا بين مستويات النثر والشعر ، مما يعيبه الآن علماء اللغة الوصفيون ، بل كانوا أكثر اعتمادا على الحصيلة الشعرية عند استخلاصهم للقواعد وملاحظتهم للظواهر ، مما صبغ هذا الفكر بصبغة شعرية ملازمة ، أدرك بعض المحدثين نتائجها بشكل حدسى مبهم فأطلق عليها " اللغة الشاعرة " ، ولا نريد أن نمضى فى تتبع آثار هذه الظاهرة الخطيرة على العقل العربى الذى صيغ بشكل شعرى فى بداية تكوينه ، وحسبنا الآن أن نلتفت إلى آثارها فى الإنتاج اللغوى ذاته ، فقد نظمت المعاجم بطريقة مقفاة ، مثل الشعر تماما ، ووضعت القوانين فى نفس المستوى للقاعدة والشذوذ وانتظم الإعراب إطارا جامعا للعبارات ، وهو من آثار الضبط الموسيقى للكلمات . وأصبح الفكر اللغوى يدور فى فلك الشعرية ، فالنحو يسقط تنويعات اللهجات من حسابه ، ويعزف عن مستويات الخطاب النثرى اليومى فى أبنيته ، ويعتمد فى تصنيفاته على المستوى الفنى الراقى للغة كما يتجلى فى أصفى أحواله .

ومن ثم فان الدراسة الأسلوبية الحديثة ، خاصة عندما تتركز فى لغة الأدب ، وتنحو إلى اكتشاف قوانينه ، بطريقة تجريبية لامعيارية ، تستأنف هذا النشاط لمنطق الفكر اللغوى العربى على أساس جديد يتمثل فى أمرين : -

الأول : تطوير مفهوم نظرية اللغة وعلاقتها بالواقع الحضارى ودورها فى الصياغة الجدلية للعقل العربى ، إذ تعكسه وتؤثر فى مساره ، ومن ثم فان مشروعيتها ترتبط